المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 18-11-2007 العـــدد : 2606
الصفحـات : 23 المسلسل : 154

حوار خارج الوطن

عبدالله صادق دحلان*

في الأسبوع قبل الماضي طُرحت بعض الأسئلة الحرجة التي تخص بلادنا، ورغم استعدادنا التام للإجابة الروتينية التي تعودنا استخدامها في الإجابة عن الأسئلة المشابهة، إلا أنني في الحقيقة لم أكن راضياً كل الرضا بردودنا أو صمتنا عن الإجابة عن بعض هذه الأسئلة.

- فمن هذه الأسئلة السؤالان اللذان طُرحا في الندوة الاقتصادية التي أقامتها الغرفة العربية الألمانية بالتعاون مع شركة ساجيكو(الشركة السعودية الألمانية لتطوير العلاقات الاستثمارية بين المملكة وألمانيا) لأكبر الشركات الألمانية، وتخيلوا أخرى من رجال الأعمال السعوديين تشرفت برفقتهم وكان الحوار يأخذ طابع المجاملات أحياناً والإحراج أحياناً أخرى، فمن التعليقات المحرجة تعليق مدير الحوار أحد كبار رجال الأعمال الذي قال إنه كان محظوظاً في التفاعل في هذه اللجنة المشتركة مع ثلاثة وزراء عالية في ألمانيا خلال الاثني عشر عاماً الماضية، ومع وزير مالية واحد في السعودية، وهذا مؤشر للاستقرار الذي تعيشه المملكة. ثم أخذ الكلمة وزير المالية السعودي وعلق على تعليق مدير الجلسة قائلاً نعم إنه استقرار أكيد وطويل في المملكة العربية السعودية وكان نفسي أن أطلب الكلمة وأسأل زميلي مدير الجلسة من الجانب الألماني(هل يقصد أن تغيير الوزراء في ألمانيا يعني لا يوجد استقرار رغم أن النتائج إيجابية كثيراً للاقتصاد الألماني مما وضعها في المرتبة الأولى في مجال التصدير عالمياً ووضع ألمانيا في المرتبة الأولى مقارنة باقتصاديات الدول الأوروبية الأخرى.

لكنني أجلت السؤال إلى حفل العشاء الذي أقيم على شرف خادم الحرمين الشريفين، حيث طرحت السؤال على أحد رجال الأعمال الألمان (الذي أجابني باختصار" نحن في ألمانيا نهتم كثيراً بوضع النظم والسياسات والخطط ونُلزم القائمين عليها بتطبيقها ولا نهتم بالأشخاص كثيراً فالنظم والسياسات والخطط تبقى والأشخاص القائمون على تنفيذها يتغيرون").

وهنا تأكدت لي أسباب تقدم الدول الصناعية الكبرى، وأسباب تأخر الدول النامية والفقيرة، حيث في هذه الدول تتغير النظم والسياسات والخطط بتغير كبار المسؤولين وبعدد بعضهم إلى إحداث التغيير في الخطط والسياسات رغبة في إلغاء جهد ودور السابقين وكتابة تاريخهم في الإنجاز بخطط جديدة حتى لو أدى الأمر إلى تأخر تنفيذ الخطط السابقة ولو تضرر الآخرون.

أما السؤال الثاني الذي طرح في الندوة الاقتصادية هو الذي طرحه مدير عام الشركة العالمية (بيملر) قائلاً (إن إيراد المملكة العربية السعودية من البترول يصل تقريباً إلى ثمانمائة مليون دولار يومياً فإلى أي المجالات التنموية تذهب هذه الإيرادات؟ وتمنى أن يرشد إفاقها جيداً، وأن يذهب جزء كبير منها إلى تطوير التعليم العام والخاص الجامعي أو التقني أو المهني، وقال إذا أردتم أن تتنافسوا الدول الصناعية العظمى وتكافحوا الفقر وتخففوا نسب البطالة فعليكم الاهتمام بالتعليم ثم التعليم ثم التعليم).هذا فحوى النص لمداخلة مدير عام شركة بيملر في الندوة الاقتصادية.

وأنا أضم صوتي له مؤكداً أن رقي الأمم وتطورها يأتي من اهتمام دولها وحكامها بالتعليم، وكما يقال إن قوة الدول تقاس بمستوى التعليم فيها وبمستوى مخرجات التعليم من قوى بشرية وأبحاث علمية. وهي رسالة واضحة لحكومة المملكة العربية السعودية لتخصيص المزيد من الاعتمادات المالية لتطوير التعليم العام والخاص والمهني وإزالة المعوقات التي تواجه المؤسسات التعليمية.

غادرتُ ألمانيا وتوجهت لحضور اجتماعات مجلس إدارة منظمة العمل الدولية بجنيف وحضور منتدى البعد الاجتماعي للعولمة والآثار السلبية للتغيرات البيئية التي حاضر فيها ثلاثة من كبار خبراء البيئة في العالم وهم (أنتيم ستيفر) المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، و(مايكل جاراود) الأمين العام للمنظمة العالمية للأرصاد الجوية، و(س. بانيخ ياكدي) وآخرون. واستمعت إلى مداخلات العديد من الأعضاء الحكوميين والعمال وأصحاب الأعمال وتداخلت بكلمة أوضحت فيها جهود بلادي في حماية البيئة سواء كانت على الأرض أو في المناخ الجوي في المشاريع الحكومية والخاصة . كلمة مختصرة أوضحتُ فيها الجوانب الإيجابية وأغفلت الجوانب السلبية وإن كنت لست مقتنعاً بما أغفلته من حقائق إلا أن نشر الغسيل خارج البيت أمرٌ مُتخالفٌ لعاداتنا وتقاليدنا وأمر غير دبلوماسي في العمل الدولي، وأنا أعارض نشر غسيلنا خارج أوطاننا ومن هو حريص على بلادنا ولديه فكر ورأي ونقد فنحن نرحب به داخل الوطن وعبر القنوات

ولهذا فإن الحجب أو التستر على معلومات البيئة الملوثة في المملكة يجعلنا في حرج كبير في المحافل الدولية، وإن عدم اتخاذ قرارات سريعة لمعالجة مشاكل التلوث البيئي سوف يزيد من معاناتنا الصحية والنفسية، وإن سياسة الترقيع للحلول هي سياسة قديمة

الرسمية والوسائل الإعلامية المتاحة وهي عديدة وهي اليوم أكثر حرية من الماضي. انتهت جلسة البيئة في مجلس إدارة منظمة العمل الدولية وفاجأني أحد الخبراء المتخصصين في البيئة الحاضرين في الجلسة بمجموعة من الأسئلة المحرجة، كان من أهمها ماذا عملتم في معالجة السحابة السوداء التي تظهر كل صباح في سماء مدينة جدة وفوق المستشفى العسكري على البحر الأحمر والتي تعمل مخرجات كيماوية على هيئة دخان أسود من مدخنة محطة التحلية بجدة؟ وماذا عملتم في المخرجات من الغازات في محطة كهرباء جدة ومصفاة جدة؟ماذا عملتم في مشكلة تلوث شواطئ جدة الجنوبية والتي تعتبر الأكثر تلوثاً عالمياً نتيجة تسرب المخرجات غير المعالجة من محطة تكرير مياه المجاري في منطقة الخمرة جنوب جدة؟ وهل أوقفتم الصيادين عن صيد الأسماك في منطقة كورنيش ساحل جدة الجنوبي؟ فالأسماك ملوثة وغير صالحة للأكل وتقرير الخبراء الأكاديميين في جامعة الملك عبدالعزيز أثبتوا بالبحث الدقيق تلوث الأسماك في شواطئ جدة الجنوبية ووسطها.

يقول الخبير البيئي ماذا فعلتم في بحيرة المجاري شرق جدة، كيف تمت معالجتها وهل استطعتم

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 18-11-2007 العـــدد : 2606
الصفحـات : 23 المسلسل : 154

معالجة تلوث المياه الجوفية شرق مدينة جدة ؟ هل وجدتم بدائل لبحيرة المسك ؟ ماذا عملتم بمشروع المجاري بمدينة جدة وهل خططتم لمعالجة مياه المجاري معالجة نهائية؟ أم أنكم تركزون اهتمامكم بشبكة المجاري فقط لتنتهي في شواطئ مدينة جدة؟ وهل تر أمن مشروع إنشاء محطات التكرير للمجاري مع مشروع شبكة المجاري؟ وهل خططتم واعتمدتم ميزانيات لمشاريع صيانة طويلة المدى لشبكات المجاري ومحطات التنقية أم ركزتم على البناء فقط دون الاهتمام بالصيانة والتشغيل والتطوير ويكون مصيرها في النهاية مصير محطة التنقية جنوب جدة ؟ ما هو مصير بحيرة الأربعين وهل مشروع تنظيفها وتطهيرها انتهى؟ وهل هناك خطة لمعالجة مشكلة ركود المياه فيها وهل فعلاً تم وقف جميع أنابيب مخرجات مياه المجاري فيها؟ وماذا عن الحالة البيئية والصحية في المناطق العشوائية في جنوب وشرق مدينة جدة؟ لقد ذهلت واندهشت من هذه المعلومات وهذه المعرفة التي يقتنيها هذا الخبير وأيقنت أن دول ومدن وقرى العالم أصبحت مفتوحة للعالم أجمع وأن تقنية الإنترنت وانتشارها واقتحامها جعلت المعلومة متاحة لكل باحث في أي موقع في العالم وأنه يصعب حجب أية معلومة عن العالم، ويصعب اعتبار بعض المعلومات سرية لأنها لحظة وضعها في إحدى الساحات أو أحد المواقع البحثية أصبحت متاحة للجميع في العالم . ولهذا فإن الحجب أو التستر على معلومات البيئة الملوثة في المملكة يضعنا في حرج كبير في المحافل الدولية، وإن عدم اتخاذ قرارات سريعة لمعالجة مشاكل التلوث البيئي سوف يزيد من معاناتنا الصحية والنفسية، وإن سياسة الترقيع للحلول هي سياسة قديمة لا مكان لها اليوم، وإن سياسة التجميل الإعلامي لن تعالج قضايانا الرئيسة. لم تكن لدي أجوبة مدعومة بوثائق رسمية وإنما اكتفيت بالإجابة بأن هناك جهود كبيرة تبذل لمعالجة كل هذه القضايا البيئية وحكومة المملكة حريصة كل الحرص على حماية البيئة وحماية المواطنين والمقيمين والزائرين من مشاكل التلوث البيئي. وكان يودي أن أجيبه ببعض الحقائق ولكنني خشيت عدم قناعته بها، لاسيما أن أمانة مدينة جدة وهي أحد أهم الجهات المسؤولة عن مدينة جدة قد أعلنت قبل أسابيع عن المشروع العملاقي العملاق، الذي تنفذه شركة إعمار وهو مشروع باب جدة وقد يكون هذا أحد أهم أولويات الأمانة قبل مشاريع معالجة مشاكل التلوث البيئي، وهناك دراسات دولية وجامعية تقوم بها الأمانة لتطوير كورنيش جدة شمالاً وجنوباً قبل تطهير شواطئ كورنيش جدة الجنوبي والشمالي من التلوث، أما بحيرة المسك شرق جدة فهناك مشروع عظيم للأمانة لإنشاء شرق جدة أكبر غابة في المملكة من أنواع مختلفة من الأشجار تروى من مياه البحيرة المعالجة دستقبلاً وذلك قبل مراقبة المزارع الحالية جوار البحيرة والتي ترتع الخضار بالمياه الملوثة وتبيعها سراً إلى بعض الأسواق في مدينة جدة.

أما عن شبكة المجاري في مدينة جدة فقد بدأ تنفيذ المشروع العملاق وأكبر دليل على تنفيذه هو الحفريات التي غطت شوارع جدة ورغبة في تأكيد تنفيذ هذه المشاريع فقد تُركت الحفريات دون تسوية كاملة ليعرف الجميع أن هناك مشروعاً قد نفذ وبإمكانهم التأكد حتى لا تتكرر أخطاء الماضي ولهذا تركت الحفريات في جميع شوارع جدة التي نفذت بها شبكة المجاري.

وعدت بالأمس إلى بلادي مسترجعاً بعض الحلول لمعالجة مشاكل البيئة في مدينة جدة، ومن بين هذه الحلول أن توكل هذه المهمة إلى شركة أرامكو السعودية؟

---

* كاتب اقتصادي سعودي
dahlan@alwatan.com.sa